نظريات النقد المعماري

عنوان المحاضرة

البنيوية ، التصميم المعماري والنقد البنيوي

البنيوية منهج نقدي غلب حضوره على الساحة النقدية العالمية في ثمانينيات القرن الماضي ومن بعده ظهرت التفكيكية

كانت بدايات الفكر النقدي قد ظهرت في حقل دراسة اللغة ، ومن ثم انتقل تطبيقه الى مختلف الحقول المعرفية الانسانية في الفلسفة والفن والعمارة

ومن هنا فإن البنيوية هي طريقة نقدية تسعى الى توحيد كل العلوم في نظام جديد

وقد جاءت البنيوية استجابة للحاجة الى النظام المحكم الذي يتوافق مع العلوم الحديثة ، حيث يسعى المنهج البنيوي الى الدراسة الموضوعية للنص الابداعي ، من دون العناية بالعوامل الفردية التي تدخلت في صناعة النص

الفكرة الاساسية التي تقوم عليها البنيوية انها معنية بالبنى (جمع بنية او بناء) ومن هنا جاء الاسم البنيوية

كما انها تبحث في القوانين العامة التي تعمل من خلالها البنى في انتاج النص الابداعي

وتكون الاعمال الابداعية الفردية هي امثلة على تلك القوانين

فالبنيوية تسعى الى الكشف عن بنى عميقة تنظم النص ، وينتظم في ضوءها النص ، قد لا تكون تلك البنى ظاهرة على السطح

هذه البنى التي توجد عميقة في النص الابداعي ، والتي عليها ينبني النص ويتأسس كما لو كانت هي هيكل النص ، ولكن من دون ان تكون تلك البنى المهيكلة للنص واضحة ومباشرة

وتأتي أهمية هذه البنى في المنهج البنيوي في ان محتوى النص هو بنيته ، والتي تمثل ايضا علاقاته الداخلية

وان هذه البنى هي صيغة النص في اضفاء المعنى

اذ يكون في نمط بنى النص ما يمثل جهده وتوصله وطرحه الابداعي لكيف تكون مكوناته ، وكيف تنتظم وتنتمي الى كل يجمعها فيتكون النص

فكرة النظام التي تعبر عن وجود البنى في النص ، ووجود نمط خاص من العلاقات بينها ، هي الفكرة الصميمية في البنيوية

البنى وعلاقاتها الداخلية وعلاقاتها مع بعضها تتدخل في انتاج كلية النص الابداعي

وللبنيوية مفهومها الخاص عن فكرة النظام :

حيث يتصف النظام في البنيوية بمكونات وخصائص ثلاثة هي

فكرة (الكلية والتماسك الداخلي) ، اذ ان النص وعلى اثر ما يوجد فيه من بنى وعلاقات ، يحقق كلية النص وينجز تماسكه الداخلي

ان مفردات النص ومكوناته ترتبط مع بعضها في علاقات تشكل بنية النص

فلا يكون احد المكونات خارج سيطرة انتظام تلك البنية

لا يكون احد مكونات النص طائفا فائضا غير مرتبط بسواه

وانما كل ما يوجد في النص مترابط مع بعضه في داخل كلية النص

من خلال علاقات وبنية تميز هذا النص عن سواه

الفكرة الثانية المميزة للنظام في مفهوم البنيوية هي فكرة (التحول)

اذ ان البنية ليست جامدة وانما من الممكن ان تتعرض الى تغيرات وتحولات بفعل تأثير المكونات في بعضها في داخل النص نفسه

بما يتسبب في حركية داخلية في البنية ، تؤدي الى تحول فيها ، هو تحول يتمكن من اعادة انتظام المكونات في كلية بنية النص

ومن هنا تأتي اهمية الفكرة الثالثة التي هي فكرة (الانتظام الذاتي) والتي تنجح في استيعاب التحولات والتغيرات في البنية

النص اذن في البنيوية يمتلك كلية وتماسك داخلي

قد يتعرض الى حركية معينة في اي مرحلة من مراحل تكونه وتعاطيه مكوناته

ولكن تكون لدى بنية النص قدرة على الحركية والتحول بما يمثل انتظاما داخليا يعيد التماسك والاستقرار لبنية النص

في الشكل المعماري يمكن مثلا ان ينتظم الشكل في كلية معمارية معينة

غير ان الفعل الابداعي قد يسعى الى اضافة فيه او تغيير

من خلال التلاعب بشكل او مفردة او لون او مادة او سواها

ولكن تحدث بسبب ذلك حركية معينة تسعى الى استيعاب وتمثل هذا التحول والعودة بالنص الى استقرار وتكامل جديد

بالطبع ليس من حق او ليس في قدرة اي اضافة للشكل المعماري ان تكون نافعة ومقبولة

وانما يكون لبنية الشكل المعماري منطقها وسياستها في تقبل ما يضاف او نبذه

وتلك هي قدرة المعماري على صياغة بنية النص المعماري وفكرته

بحيث يمكنه ان يضم من المفردات والاشكال ما يصنع بنية كلية تجعل الشكل المعماري متماسكا

ومن الطروحات الاساسية التي قدمتها البنيوية

ان الطبيعة الحقيقية للاشياء لا تكمن في الاشياء ذاتها بل في العلاقات التي تكونها

حيث ان تلك العلاقات تمثل المنجز الابداعي الخاص للعمل بما يميزه عما انجزه سواه

ولذلك ففي النص المعماري نحن نتعاطى الكثير من الاشكال والمفردات المعمارية المشتركة ، غير ان المهم هو ما يختاره العمل المعماري من نمط علاقات انتظام تلك المكونات في الشكل المعماري ، فتلك هي ميزة كل عمل عن الاخر

وان مهمة المعماري هي في ان يسعى الى ابتكار نمط علاقات مختلفة بين مفردات معمارية شائعة ، ولكنه يقدم تلك المفردات في شكل جديد من خلال انتظامها في ضوء علاقات جديدة

وان تلك العلاقات الجديدة اضافة الى المكونات هي التي تصنع بنية جديدة في كل معماري جديد

ان العالم لدى البنيوية مكون من علاقات اكثر مما هو مكون من اشياء

لان الاشياء تكون في العادة من الشائع والمألوف ولكن الجديد والمتغير هو العلاقات التي تجمعها معا بشكل يختلف مرة عن اخرى في عمل معماري مثلا عن آخر سواه

البنيوية طريقة في بحث الواقع ليس في الاشياء الفردية ولكن في العلاقات بينها

ان نمط العلاقات في بنية النص الابداعي تجعل كل عنصر او مكون يحصل على اهميته من خلال علاقته مع العناصر الاخرى

ومن هنا سياسة البنية المكونة للنص ونهجها في ان تصنع نظاما يختلف من عمل الى اخر

بحيث تتراتب مكونات العمل المعماري مثلا بتراتبيات مختلفة في ضوء انماط العلاقات المحتملة بين المكونات في الكل

وفي داخل هذا الكل المعماري يمكن ان نميز العناصر الاهم والاكثر مركزية عن الاخرى الاقل اهمية

وهذا يعني ان اهمية العنصر المعماري وقيمته في النص تتحقق في ضوء نمط علاقاته داخل النص

ومن الطبيعي في العمل المعماري ان تتفاوت قيم عناصره واهميتها

وفي ذلك النهج احد وسائل الابداع المعماري في تجديد توظيف المفردات والاشكال من نص معماري الى اخر

ويتوقع ان تصنع الانماط الابداعية المختلفة انماط علاقاتها وبناها واساليبها في توظيف عناصرها لذلك فإن الادب مثلا ليس تجميع عشوائي لكتابات مبعثرة ، بل هو يعمل وفقا لقوانين موضوعية

والعمارة كذلك ، بحيث ان الاعمال الابداعية تكون مصنوعة من اعمال اخرى تشترك معها في الانتماء الى ذات النمط الابداعي ، ولا تكون مصنوعة من مادة خارج النظام الابداعي ذاته

يركز التحليل البنيوي جهده على الشكل

اذ تعالج البنيوية النص الابداعي بوصفه نظاما مغلقا

فيكون العمل الابداعي مكتف ذاتيا ومبرر ذاتيا

حيث تعزل البنيوية النص عن صاحب النص الذي ابدعه

كما تعزل النص عن مختلف الظروف الجغرافية والتاريخية التي ظهر فيها النص

فتحلل البنيوية النص الابداعي لوحده منقطعا عن سواه ، وتسعى الى الكشف عن البنى والعلاقات المؤسسة له

التحليل البنيوي يصرف الانتباه عن كل مراجع النص وظروف ولادته وانتمائه ، ويتفحص العمل الابداعي بذاته

ان البنيوية منهج تحليلي يركز على تحليل الشكل ، فهو ليس منهج تقويمي ، اذ لا يبالي بالقيمة الثقافية لموضوعه ، وهو يضع المحتوى الفعلي للعمل بين قوسين

ونحن حين نحلل العمل الابداعي فنحن انما نتكلم عنه وذلك هو ميدان عمل البنيوية

وحين نقيم العمل او ننشغل في قيمته فنحن انما نتكلم عن انفسنا لأن منح القيمة هو شأن الانسان المتلقي في علاقته مع الاعمال الابداعية

ولذلك نجد ان النقد البنيوي يكون اكثر ضبطا وهو ينشغل بالنص لوحده ، ويكون اقل انطباعية لأنه لا يسعى الى تقديم اراء المتلقي وانطباعاته عن العمل

ومن هنا كان من نتائج البنيوية نزع مركزية الذات الفردية بوصفها مصدرا للمعنى او غاية له والتأكيد على النص بوصفه ميدان الابداع ومادته ايضا

كان اول ظهور للمنهج البنيوي في الدراسات اللغوية

حيث لم ينشغل اللغوي (دي سوسير) بتاريخ اللغة ونظريات تكونها وانما درسها بوصفها منظومة مستقلة وحالية ، سعى الى فك اسرار بناها ونمط اشتغالها على بناء عناصرها في منظومتها الكلية بما يفسر عملها من دون الاهتمام بكيف تكونت وكيف تطورت ، لأن المهم عنده هو السعي لتفسير عملها كما هي مدركة الآن

وقد كانت اللغة عنده هي نظام من الدوال (جمع دال)

والدوال هي كل ما يقدم معنى وكل عنصر ومكون يشترك في بناء نص ويكون له معنى او مدلول وعنده فإن العلاقة بين الدال ومدلوله هي علاقة اعتباطية

بمعنى ليس هنالك من ضرورة منطقية لكي يمتلك هذا الصوت او شكل الكلمة (الدال) ما يجعله يشير الى شيء معين دون سواه (مدلول) ، فالعلاقة بين كلمة (باب) والشيء الذي اسمه باب هي علاقة اعتباطية ، اي متفق عليها من دون لزوم منطقي بين شكل الكلمة والشيء الذي تكون الكلمة اسما له

وان معنى الدال (مدلوله) اي معنى الكلمة هنا يكون من خلال اختلافها عن سواها من الدوال

فهذه الكلمة (باب) تشير الى الشيء باب ، وكلمة اخرى مختلفة هي (شباك) تشير الى شيء اخر هو شباك

وهكذا تمتلك الدوال معانيها (مدلولاتها) من خلال اختلافها عن بعضها

هذا يعني استقلالية اللغة عن سواها بوصفها منظومة من مكونات ونمط علاقات تجمع تلك المكونات الى بعضها من دون علاقة مع عامل تكون او تطور او سواها

اذن هنالك بنية ونمط علاقة تتأسس عليها اللغة بوصفها منظومة

وان العمل الابداعي هو بناء شأنه شأن اللغة او اي انتاج لغوي اخر يمكن تصنيف آلياته وتحليلها كما يقع ذلك مع اي علم اخر

العمل الابداعي في نظر البنيوية هو منظومة لغوية مستقلة ذاتيا ومنقطعة عن اي مرجعية تتعداها

التحليل البنيوي يعزل القوانين الاساسية التي يتم بواسطتها جمع الدوال المكونة للشكل الابداعي والتي تصنع بتجمعها معنى النص

من خلال تركيز البنيوية على علاقات الدوال مع بعضها وليس على ما تقوله فعليا

اذ تسعى البنيوية الى اكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم في الاستخدام الابداعي لمفردات النص كما يقع ذلك في صنع اللغة